حق الله وحق أنبيائه وحق أوليائه

عبد العزيز بن عبد الله الحصين

دار البشير

الطبعة الثالثة
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٦/٨/١١١٢)

رقم التصنيف	٢٤٠
المؤلف ومن هو في حكمه	عبد العزيز بن عبدالله الحصين
عنوان المصنف	حق الله وحق أنبيائه وحق أوليائه
الموضوع الرئيسي	١- الديانات
	٢- العقيدة الإسلامية
رقم الإيداع	(١٩٩٦/٨/١١١٢)
بيانات النشر	عمان : دار البشير

* تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



ص.ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)
هاتف: (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فاكس : (٦٥٩٨٩٣) تلكس (٢٣٧٠٨) بشير
مركز جوهرة القدس التجاري / العبدلي
عمان - الأردن

Dar Al-Bashir
For Publishing & Distribution
Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir
P.O.Box. (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Amman - Jordan

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

ونشهد ألاّ إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتُن إلا وأنتم مسلمون﴾. ﴿يا أيها الناس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيبا﴾. ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما﴾.

أما بعد: فقد رأى لي الشيخ/ إسماعيل بن سعد بن عتيق أثناء قيامه على الدعوة إلى الله على بصيرة، في رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدّعوة والإرشاد، أن أعيد طبع رسالة في الذبّ عن الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك والبدع، كتبها قبل مائتي سنة تقريباً أحد آبائي، صلة للرّحم ومساهمة في الدعوة.

ورأيت الاستجابة شاكراً وداعياً لأخي الكريم في الدّين والدّعوة، وناشراً فضل الله ونعمته على أسرتي بأن يكون فيها: مثل العم عبدالعزيز صاحب الرسالة ومبعوث الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود بالدعوة مرّتين إلى أشراف مكة، وشيخ عدد كبير من العلماء والقضاة، ومثل العم محمد بن عبدالله الحصيّن قاضي القراين في عهد اثنين من ولاة دولة التوحيد والسُّنة، ومثل والدي عبدالرحمن بن عبدالعزيز الحصين الذي أبى القضاء، وعمل عشرات السّنين في أعمال الحسبة ثم رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في شقراء، ثم اختار الله له الإقامة بقية سنوات حياته في المدينة النبويّة والوفاة فيها على باب المسجد النبوي مقبلاً على صلاة العصر غير مدبر، ولعلّ الله بذلك قد استجاب الدعاء المأثور الذي كان يكثر ترديده: «اللّهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا، اللّهم أحسن عاقبتنا في الأمور

كلّها، واجعل خير أيامنا يوم لقاك» وقد توفاه الله في الثمانين من عمره في خير صحة من عقله وجسمه، غفر الله للجميع وأسكنهم فسيح جناته.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام والبركة على محمد وآله.

سعد الحصيّن

* * *

تعريف بالمؤلف من كتب المؤرخين:

«ولي قضاء الوشم لعبدالعزيز بن محمد آل سعود وابنه سعود وابنه عبدالله بن سعود.

كان رحمه الله تعالى عالماً عاملاً زاهداً ورعاً حليماً لا ينتصر لنفسه، محبّباً إلى الناس، ليس للدنيا عنده قدر ولا يركن إليها ولا [ينصرف] لها، بل قطع دهره في كتب العلم وطلبه وبذله، وكان إذا دخل عليه (وقت الثمرة) قوت سنته من البرّ والتمر من بيت المال وبقي عنده شيء وقت الثمرة الثانية أعطاهم إياه ولا يترك منه شيئاً. وكان رحمه الله فاضلاً مهيباً فقيهاً، وجعل الله في علمه البركة للناس وانتفع به رجال كثيرون في جميع النواحي ممن ولي القضاء وغيره.

وكان يحب طالب العلم محبّة عظيمة ـ كأنه ولده ـ بالتودد إليه وتعليمه وإدخال السرور عليه، والقيام بما ينوبه من بيت المال.

وكان مجلسه للتدريس في الفقه وقت طلوع الشمس إلى ارتفاع

النهار، وله مجالس في التدريس غير ذلك للعامة وقت الظهر والعصر وبين العشاءين.

أخذ الفقه في صغره عن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل قاضي بلد القراين في ناحية الوشم، ثم تفقّه وقرأ على [مجدّد القرن الثاني عشر] محمد بن عبدالوهاب. أقام مدّة سنين يقرأ عليه، وكان يكرمه و[يقدّره] وهو الذي استعمله قاضياً في تلك الناحية.

وأخذ عنه العلم عدد من قضاة المسلمين منهم: الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين قاضي ناحية الحجاز وما يليه زمن سعود بن عبـدالعزيز، وعُمان زمن عبدالله بن سعود، والوشم وسدير لتركي بن عبدالله ثم لفيصل بن تركي.

أخـذ عنـه أيضـاً الشيخ إبـراهيم بن سيف قاضي ناحية سدير لعبدالله بن سعود والرّياض زمن تركي بن عبدالله وفيصل بن تركي.

وأخذ عنه الشيخ عثمان بن عبدالعزيز بن منصور قاضي جلاجل زمن تركي، وناحية سدير زمن فيصل بن تركي.

وأخذ عنه العالم في بلد القراين من ناحية الوشم أخوه محمد بن عبدالله الحصيّن زمن سعود وابنه عبدالله.

وأخذ عنه الشيخ علي بن يحيى بن مساعد القاضي في ناحية سدير زمن سعود.

وأخذ عنه أيضاً عبدالله بن عبيد قاضي ناحية الجبيل زمن سعود وابنه عبدالله، وجلاجل في أول ولاية تركي بن عبدالله.

وأخذ عنه محمد بن سيف قاضي بلد ثرمدا، وإبراهيم بن حجّي قاضي بلد ثرمدا، وعثمان بن عبدالمحسن أبا حسين قاضي بلد أشيقر، ومحمد بن نشوان قاضي حريق نعام في ناحية الجنوب، وأخذ عنه عبدالله القضيبي وقد أبى تولي القضاء ولكن ذكر لشهرته، وأخذ عنه عبدالكريم بن معيقل صاحب بلد القراين، أبى القضاء أيضاً.

وأخذ عنه ممن لم يل القضاء الجم الغفير رحمه الله وعفا عنه، (الصفحات ٣٠٨ و٣٠٩ و٣١٠ من عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن عبدالله بن بشر، المجلد الأول ط ١٣٩٤هـ).

«أوفده الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود سنة ١١٨٥هـ إلى شريف مكة أحمد بن سعيد، وكان أول موفد رسمي للدولة السّعودية إلى مكة للاتصال بعلمائها وبيان حقيقة الدعوة التجديدية» (جـ١ ص ٦٤ من تاريخ الدولة السعودية لأمين سعيد، ط ١٣٩١هـ).

«فاقتنع علماء مكة وعرفوا أن هذا دين الله، وقالوا: هذا مذهب الإمام المعظم، وانصرف عنهم الشيخ عبدالعزيز مبجّلاً معزّزاً.

ثم أوفده عبدالعزيز عام ١٢٠٤ إلى مكة عندما طلب غالب شريف مكة إرسال رجل عارف بالدّين يعرّفه حقيقة أمر الدّعوة التجديدية، فأكرمه الشريف غالب واجتمع معه مرّات فعرف الحق وأذعن له وأقرّ به».

(من تاريخ نجد للشيخ الإمام حسين بن غنام جـ١ الصفحات ١٣٣ و١٧٤ ط ٢، ١٣٨١ ـ ١٩٦١ تحقيق وتحرير الدكتور ناصر الدين الأسد).

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به عبد العزيز ابن عبد الله الحصين أنه يشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها
إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها و
أن الله يبعث من في القبور وأوصى من ترك من أهله وأقاربه أن يتقوا الله و
يصلحوا ذات بينهم ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين وأوصيهم بما وصى
به إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم
مسلمون والسيف الذي مع محمد والدرقة والبندق التي وقف في سبيل الله وهن
في يد محمد بن عبد الوهاب أخوي والذي ثبت مما من الله به علي من الكتب لا الذي
كتبت بيدي ولا الذي استفدته من خارج بشراء وغيره من مسند الإمام أحمد
من مسند العشرة مجلد ومجلد من صحيح البخاري قطع الكامل قرطاس ملون
ومجلد من خطي من متن البخاري وكذلك مختصر شرح البخاري مجلد ضخم بخط [illegible]
وهو مختصر من شرح العسقلاني والهدي مجلد قطع الربع ومفتاح دار السعادة
مجلد قطع الربع والمجلد الأول من إعلام الموقعين ومختصر الشرح الكبير
المجموع الذي معه في جلود والجمع بين الصحيحين للحميدي مجلد مع كراريس من المتن
ومتن الموطأ مجلد وكتاب الصلاة لابن القيم هذه العشرة من كتبي وقف على عيالي و
على إخواني فإن لم يكن فيهم قارئ فعلى المسلمين ويتولاهن عبد الله ابن أخي إبراهيم
ومن بعده المصلح والأغير [illegible] إن شاء الله تعالى نصيبي من فيد
عليان في [illegible] وهو نصفه وقف على المحتاج الأقرب فالأقرب شهد بذلك محمد بن
عبد الوهاب وشهد به وكتبه بأمره عبد الله ابن إبراهيم الحصين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وهذه الورقة ناسخة ما قبلها جرى ذكره لعشر بقين من شهر شوال من سنة ١٢٣٣

وصية المؤلف الشيخ عبد العزيز الحصين رحمه الله بخط يده

مقدمة

الحمد لله المتفرد بالكمال والبقاء والعز والكبرياء، المنزه عن الأشباه والنظراء، الذي سبق علمه في بريته بحكم القضاء من السعادة والشقاء، وأكمل لنا ديننا ولم يجعله ملتبساً علينا، وتفضل فرضي لنا الإسلام ديناً فنحمده على ذلك ونشكره، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونتوب إليه ونستغفره، وصلى الله وسلم على المبعوث بالمحجة البيضاء والشريعة الغراء، محمد أفضل الرسل والأنبياء، وعلى آله وأصحابه الأتقياء صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم البعث والجزاء.

أما بعد: فإن العبادة التي هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، هي الغاية التي خلق الله لها جميع العباد من جهة أمر الله تعالى ومحبته ورضاه، كما قال تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب، وذلك أن الدين كله

بأنواعه لله وحده، والأمر كله لله مختص بجلاله وعظمته، ليس للخلق منه شيء البتة، لا مَلَك ولا نبي ولا ولي.

وحق الله تعالى غير جنس حق المخلوق.

[حق الله]:

فأما حقه تعالىٰ فتوحيده وإفراده بعبادته التي شرعها لعباده وخلقهم ليعملوا بها، وإخلاصها له ـ تعالى وتقدس ـ بعد نفيها عن غيره.

والدّعاء بما لا يقدر على جلبه ودفعه إلا الله مختصٌّ به، لا يجوز أن يدعى في ذلك غيره تبارك وتعالى، ورجاؤه فيه والتوكل عليه، وذبح النسك، والنذر لجلب الخير أو دفع الشر، والإنابة والخضوع كله لله، مختص بجلاله كالسجود والتسبيح والتكبير والتهليل، قال سبحانه وتعالى: ﴿**له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال**﴾، وقال تعالى: ﴿**وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا**﴾، وقال لنبيه ﷺ: ﴿**ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك**﴾، وقال تعالى لأفضل خلقه: ﴿**قل إني لا أملك لكم ضرّاً ولا رشداً. قل إني لن يجبرني من الله أحد ولن أجد من دونه**

ملتحداً﴾، وقال تعالى: **﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السّوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾**، وقال تعالى: **﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾**، وقال تعالى: **﴿فاعبده وتوكل عليه﴾**.

[حق الأنبياء]:

وحق الأنبياء الإيمان بهم وبما جاءوا به واتباع النور الذي أنزل معهم، وتعـزيرهم وتوقيرهم وموالاتهم، وتقديم محبتهم على النفس والمـال والبنين والنـاس أجمعين، والإيمـان بمعجزاتهم وأنهم بلّغوا رسالات ربهم وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة، وأن محمداً ﷺ خاتمهم وأفضلهم، وإثبات شفاعتهم التي أثبتها الله سبحانه في كتابه [وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم] وهي من بعد إذن ربهم لهم فيها لمن يرضى له الشفاعة، وأن المقام المحمود الذي ذكره الله في كتابه هو لنبينا محمد ﷺ.

[حق الأولياء]:

حق أولياء الله محبتهم، والترضي عنهم، والإيمان بكراماتهم، لا عبادتهم ليجلبوا لمن دعاهم خيراً لا يقدر على جلبه إلا الله تبارك وتعالى، أو يدفعوا عنهم سوءاً لا يقدر على دفعه أو رفعه إلا الله.

الدعاء هو العبادة:

والدّعاء عبادة مختصة بجلاله سبحانه، قال الله تعالى: **﴿وقال ربّكم ادعــوني أستجب لكم إنّ الــذين يستكبــرون عن عبـادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾**، فسماه عبادة وأضافها إلى نفسه، وروى النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الدعاء هو العبادة**» ثم قرأ رسـول الله ﷺ: **﴿وقـال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبـرون عن عبـادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾**، رواه أبو داود والترمذي وقـال حديث حسن صحيح[1]. وما في القرآن مـن دعاء أو دعوة فهـو إمـا بمعنى: «**إسـألوني أعطكم**»، كما في هذا الحديث وقوله تعالى: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الدّاعِ إذا دعـانِ﴾**، وإما بمعنى امتثال الأوامر واجتناب المناهي كما في قوله تعـالى: **﴿ويستجيب الـذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله﴾** أي يثيبهم على أحـد التفسيرين. [وإما بمعنى الهداية إلى الإسلام كما في قوله تعالى: **﴿ومن أحسن قولاً ممَّن دعا إلى الله﴾**].

[شرك الواسطة هو الشرك الأكبر]:

ليس من حق أحـد أن يُتخـذ واسـطة بين الله وبين من دعـاه

(١) أخـرجـه أبـو داود (١٤٧٩)، وابن مـاجـه (٣٨٢٨)، والترمـذي (٢٩٦٩) و(٣٢٤٧) و(٣٣٧٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٦٤).

كالواسطة بين السلطان ورعيته، فإن ذلك دين المشركين الذين قال الله فيهم: **﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾**، وقال تعالى: **﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾**، وإنما ذكر الله ذلك عنهم لأنهم يدعون الملائكة والأنبياء، ويصورون صورهم محبة لهم، ويرجونهم، ويلتجؤون إليهم ليشفعوا لهم فيما دعوهم فيه، وذلك بطرق مختلفة، ففرقة قالت: ليس لنا أهليةُ مباشرة دعاء الله ورجائه بلا واسطة تقرِّبنا إليه وتشفع لنا عنده لعظمته، وفرقة قالت: الأنبياء والملائكة ذووا وجاهة عند الله ومنزلة عنده، فاتخذوا صورهم [وأنصابهم] من أجل حبهم لهم ليقرِّبوهم إلى الله زلفى، وفرقة جعلتهم قبلة في دعاء الله، وفرقة قالت: إن على كل صورة مصورة على صور الملائكة والأنبياء وكيلًا موكلًا بأمر الله فمن أقبل على دعائه ورجائه وتبتَّل إليه قضى ذلك الوكيل ما طلب منه بأمر الله وإلا أصابته نكبة بأمره.

فالمشرك إنما يدعو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ويلتجىء إليه فيه ويرجوه منه لما يحصل له في زعمه من النفع، والنفع لا يكون إلا فيمن وجدت فيه خصلة من أربع: إما أن يكون مالكاً لما يريد منه داعيه، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً، فإن لم يكن

شريكاً كان ظهيراً، فإن لم يكن ظهيراً كان شفيعاً، فنفى الله سبحانه هذه المراتب الأربع عن غيره نفياً مرتباً متنقلاً من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك والشركة والمظاهرة، ونفى الشفاعة عن غيره [إلا بإذنه] بقوله تعالى: **﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾**، فأثبتَ سبحانه وتعالى ما لا نصيب فيه للمشرك البتة، وهي الشفاعة بإذنه لمن رضي الله له الشفاعة، سبحانه الذي يعلم السر وأخفى، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولهذا لما قال الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله: أربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه، أنزل الله تعالى: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الدّاع إذا دعانِ﴾**، وقال تعالى: **﴿أم اتّخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون. قل لله الشفاعة جميعا﴾**.

إفراد الله بالعبادة هو الفارق بين الإيمان والشرك:

فليس المـوحِّد إلا من اجتمع قلبه ولسانه على الله مخلصاً له تعالى ألوهيته المقتضية لعبادته بمحبته وخوفه ورجائه ودعائه والاستعانة به والتوكل عليه وحصر ذلك له وحده والمولاة في ذلك والمعاداة فيه عالماً بالفرق بين حق الخالق وحق المخلوق من الأنبياء والأولياء مميّزاً

بين الحقين، وذلك واجب في علم القلب وشهادته وذكره ومعرفته، وفي حال القلب أيضاً وعبادته وقصده وإرادته ومحبته وموالاته وطاعته، فهذا من تحقيق معنىٰ شهادة أنْ لا إلٰه إلا الله، وأنَّ معنى الإلٰه: ما تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والإجلال والخضوع والرجاء والالتجاء والتوكل والدّعاء وذبح النسك له، قال تعالى: ﴿**ومن النّاس من يتخذ من دون الله أنـداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشدُّ حباً لله**﴾ [وسيقولون] لمن أحبوه كحب الله: ﴿**تالله إنْ كنّا لفي ضلال مبين. إذ نسويكم برب العالمين**﴾، وهم ما ساووهم به في الصفات ولا في الـذات ولا في الأفعـال، كما حكى الله عنهم في قوله: ﴿**قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله**﴾، وإنما ساووهم به في العبادة.

والشاهد لله بأنه لا إلٰه إلا هو، وقائلها نافياً في قلبه ولسانه ألوهية كل ما سواه من الخلق، ومثبتـاً الألوهية لمستحقها وهو الله المعبود بالحق، يكون معرضاً عن تأليه جميع المخلوقات، مقبلاً على عبادة رب الأرض والسمـوات، وذلـك يتضمن اجتمـاع القلب في عبادته ومعاملته على الله تعالىٰ، ومفارقته في ذلك ما سواه، فيكون مُفرِّقاً في علمه وقصده وشهادته وإرادته ومعرفته ومحبته بين الخالق والمخلوق، بحيث يكون عالماً بالله ذاكراً له، عارفاً بأنه تعالىٰ مباين لخلقه منفرد

عنهم بذاته وصفاته وأفعاله، وعبادة خلقه له؛ فيكون محبًّا له مستعيناً به لا بغيره، متوكلًا عليه لا على غيره، ممتنعاً عن دعاء غيره أو سؤاله ما لا يقدر على إيجاده أو دفعه أو رفعه إلا الله، فلا يجعل ما هو مختص بجلاله تعالىٰ لغيره، وهذا المقام هو المعني في قوله تعالىٰ: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾، وهذا من خصائص ألوهيته تعالىٰ التي يشهد له بها عباده المؤمنون.

أكثر الكفار معترفون بوحدانية الله في ربوبيته:

أما رحمته تعالىٰ لعبيده وهدايته إياهم، وخلق السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من الآيات، فمن خصائص ربوبيته التي يشترك في معرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر، حتى إبليس عليه اللعنة معترف بها في قوله: ﴿**رب فأنظرني إلى يوم يبعثون**﴾، وقوله: ﴿**خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾، وقوله: ﴿**ربِّ بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين**﴾، وأمثال هذا الخطاب الذي يعترف فيه بأن الله ربه وخالقه ومليكه وأن ملكوت كل شيء في يده تعالىٰ وتقدس، وإنما كفر بعناده وتكبره عن الحق وطعنه فيه، وزعمه أنه فيما ادعاه وقاله محق، وكذلك المشركون الأولون يعرفون ربوبيته تعالىٰ وهم له بها يعترفون، قال الله عز وجل آمراً نبيه ﷺ أنْ يسألهم عن ربهم الذي خلقهم ورزقهم ويحييهم ويميتهم ويدبر أمورهم كلها، فإذا عرفوه واعترفوا به استحق أن يُخَصَّ بألوهيته، فلا

يدعوا مع الله إلٰهاً آخر، بل يتركوا تلك الآلهة التي يدعونها ويرجونها ويذبحون لها لتُقَرِّبَهم إلى الله زلفى: **﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يُخرج الحي من الميت ويُخرِج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾**، وقال تعالىٰ: **﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون. سيقولون لله﴾** وقال تعالى: **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾**، فهم قد أقروا واعترفوا بأن الله سبحانه خالق الأشياء كلها وموجدها ومالكها، وأنه النافع الضار المعطي المانع الذي لا رازق سواه ولا قابض ولا باسط إلا هو وحده، لا شريك له في ذلك، قال تعالىٰ: **﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين. بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾**، وقال تعالى: **﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد﴾**، الآية، وقال تعالىٰ: **﴿وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾**، وقال تعالى: **﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يُجيرُ ولا يُجارُ عليه إنْ كنتم تعلمون. سيقولون لله﴾**.

وروى الترمذي[1] عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال لأبيه:

(١) في سننه (٣٤٨٣).

«**يا حصين كـم إلٰهاً تعبد**»؟ قال: سبعـة، ستة في الأرض وواحـد في السماء، قال: فمن الـذي تعدّ لـرغبتك ورهبتك؟» قال: الـذي في السماء، فقال لـه رسول الله ﷺ: «**أسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن**» فأسلم فقال له: **قل: اللهم ألهمني رشدي وقني شرَّ نفسي**».

فمجـرد معـرفتهم ربـوبيته تعالىٰ واعترافهم بها لم ينفعهم ولم يدخلهم في الإسلام مع جعلهم مع الله آلهة أخرى يدعونها ويرجونها لتقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عند الله، فبذلك كانوا مشركين في عبادته ومعاملته، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.

وقد وصف الله سبحانه دين المشركين فقال فيه: ﴿**ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**﴾، وقال تعالى: ﴿**إن الله لا يغفرُ أنْ يُشرك به ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء**﴾، وقال تعالىٰ: ﴿**ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين. بل الله فاعبد وكن من الشـاكرين**﴾، وقال تعالىٰ: ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبـدهم إلا ليقـربونا إلى الله زُلفى**﴾، وسيُظْهِر تعالىٰ المحق على المبطل بحكمه بين الفريقين غداً، كما قال تعالىٰ: ﴿**إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون**﴾.

وفي صحيحي البخاري ومسلم[1] عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: **«أن تجعل لله نداً وهو خلقك»**، قال: قلت ثم أي؟ قال: **«أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»**، قال: قلت ثم أي؟ قال: **«أن تزاني حليلة جارك»**، فأنزل الله تصديقها: **﴿والذين لا يدعون مع الله إلٰهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾**. فبين النبي ﷺ أن أعظم الذنب الشرك بالله الذي هو جعل الأنداد واتخاذ الأولياء ودعاؤهم ليقربوهم إليه.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«إنّ الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأنْ تناصحوا من ولاه الله أمركم»**[2]، فدين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه.

أقسام الشرك:

والشرك شركان: شرك أكبر، وهو الذي تقدم بيانه آنفاً، وهو محبط للأعمال موجب للخسران والخلود في النيران، إلا بالتوبة منه والرجوع إلى دين الإسلام.

---

(١) البخاري (٦٠٠١)، (٤٧٦١)، (٦٨٦١)، (٧٥٣٢)، ومسلم (٨٦) (١٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٥) (١٠) دون قوله: «وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم» وهي في هذا الحديث موجودة عند مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠، وأحمد ٢/ ٣٢٧.

وشرك أصغر، كالرياء، والسمعة، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«قال الله تعالىٰ أنا أغنى** الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[1]، ومنه: [الشرك اللفظي]، روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر[2] عن النبي ﷺ أنه عندما قال رجل ما شاء الله وشئت، قال: **«أجعلتني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده»**، وروى الإمام أحمد في مسنده أن رجلاً أُتي به قد أذنب ذنباً وهو أسير فلما وقف بين يدي النبي ﷺ قال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال النبي ﷺ: **«عرف الحق لأهله»**[3]. [ومنه الحلف بالشرف وبالأمانة وبالآباء وبالنبيِّ لعموم قوله ﷺ: **«من حلف بغير الله فقد أشرك»**[4].

والشرك الأصغر ذنب تحت المشيئة كسائر الذنوب بل من أكبرها لعموم قوله تعالىٰ: **﴿إنّ الله لا يغفرُ أن يشرك به﴾**، وحديث: **«أي الذنب أعظم»**، ولكن لا يكفر مرتكبه ولا يخرج من ملة الإسلام إذا لم يستحل فعله.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أخطأ المصنف في عزو هذا الحديث إلى الإمام أحمد وأبي داود من حديث ابن عمر، والصواب أنه من حديث ابن عباس عند الإمام أحمد ١/ ٢١٤، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨).

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٤٣٥ من حديث الأسود بن سريع.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) من حديث ابن عمر. قال الترمذي: حديث حسن.

التوسل المشروع:

شرع الله لخلقه التوسل إليه بالأعمال الصالحة كتوسل المؤمنين إليه بإيمانهم في قولهم: ﴿**ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا**﴾، وكتوسل أصحاب الصخرة المنطبقة عليهم، وهم الثلاثة النفر الذين توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة التي تُقرِّبهم وتُحبِّبهم إلى ربهم فأنقذهم، رواه البخاري في صحيحه[1]، لأنه وعد أنه يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله، وكسؤاله تعالىٰ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال الله تعالىٰ: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾، وكالأدعية المأثورة في السنن: «**اللّهم إني أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام**»[2]، وأمثال ذلك، وهذا معنى قوله تعالىٰ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾، فإنها القربة التي تقرب فاعلها إلى الله وهي الأعمال الصالحة، كما روى البخاري في صحيحه[3] من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالىٰ: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبّ إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا**

(١) رقم (٢٢١٥).

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ١٢٠، وأبو داود (١٤٩٥)، والنسائي ٣/ ٥٢.

(٣) رقم (٦٥٠٢).

أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه» ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا همّه أمر فزع إلى الصلاة[1]، فإنها أعظم القُرب إلى الله عزّ وجل، كما قال تعالىٰ: **﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾**. وليست الوسيلة جاه مخلوق يُجعل واسطة بين الله وبين خلقه فهو مثل ما قالت بنو اسرائيل لموسى صلاة الله وسلامه عليه: **﴿يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾**، فإن قصدهم التقرب به إلى الله بدليل قوله تعالىٰ عنهم: **﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾**.

[الإقسام على الله بخلقه):

وأما الإقسام على الله بمخلوق فهو منهيٌّ عنه باتفاق العلماء، وهل هو منهي عنه نهي تنزيه أو تحريم؟ على قولين، أصحهما: أنه نهى تحريم، قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول: قال أبو حنيفة رحمه الله تعالىٰ: لا ينبغي لأحد أن يدعو إلا به [أي بالله]، وأكره بمعاقد العز من عرشك، وبحق خلقك، وقال أبو يوسف: وأكره بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام، قال [ابن تيمية] رحمه الله: المسألة بحق المخلوق لا تجوز فلا يقول: أسألك بفلان أو بملائكتك أو أنبيائك ونحو ذلك، لأنّه لا حق

(١) أخرجه بنحوه أبو داود برقم (١٣١٩).

للمخلوق على الخالق، قال تعالىٰ: ﴿**من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء**﴾. فإذا والى العبد ربّه وحده أقام له وليّاً من الشفعاء، وعقد الموالاة بينه وبين عباده المؤمنين فصاروا أولياءه في الله، بخلاف من اتخذ مخلوقاً من دون الله، فهـذا لون وذاك لون، كما أن الشفاعة الشركية الباطلة نوع، والشفاعة الحق الثابتة نوع، وهذا موضع فرقان بين أهل التوحيد وأهل الشرك بالله، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

[عمارة القبور والمقامات والأضرحة ودعاؤها كبيرة، لا وسيلة]:

إنّ مما استدل به الذين يدعون مع الله غيره من القبور والأموات، ويقولون المراد الوسيلة: «**اللَّهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الـرحمـة، يا محمـد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللَّهم شفعـه فيَّ**» رواه التـرمـذي والحاكم وابن ماجه عن عثمان بن حنيف قال: جاء رجل ضرير إلى النبي ﷺ فقال: ادع الله لي أن يعافيني، فقال: «**إن شئت اخترت لك وهو خير، وإن شئت دعوت لك**» قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء، قال الحاكم صحيح[1]. [وفيه مقال].

(١) أخـرجـه ابن ماجـه (١٣٨٥)، والترمـذي (٣٥٧٨)، والحاكم ١/ ٣١٣ و٥١٩. وقـال الترمـذي: حسن صحيح غـريب. قـال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقـه الذهبي.

وهذا الحديث لا دليل فيه لهم لوجوه:

الأول: أنه في غير محل النزاع، فعملهم اختراع منكر، وردت الأحاديث بحرمته، وهو عمارة القبور والقاء الستور عليها وتسريجها [والتقرب بها وبناء المساجد عليها]، وهذه كلها كبائر كما قال أهل العلم، حتى ابن حجر الهيتمي بيّن أنّ حد الكبيرة: ما أُتبع بلعنة أو غضب أو نار، وقد لعن رسول الله ﷺ فاعله:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1]، ولمسلم: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2]، وفي صحيحه عن جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**»[3]، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٠) (٢١). (٣) أخرجه مسلم (٥٣٢) (٢٣).

كذلك: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1]، ولولا ذلك لأُبرز قبره غير أنه خُشي أن يتخذ مسجداً، متفق عليه، وروى الإمام أحمد في مسنده بإسنادٍ جيد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد**»[2]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»، رواه الإمام أحمد وأهل السنن[3]

هذا حال من سجد لله عند القبر، فكيف بمن سجد للقبر نفسه أو دعاه، وعدل عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع الجهال والطغام التي وضعوها لأنفسهم بتلبيس إبليس عليهم، فزُيِّنت لهم وطابت بها قلوبهم، من تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع من عبادتها ورجائها والالتجاء إليها والتوكل عليها والنذر لها، وكتب الرقاع فيها وخطاب الموتى بالحوائج: (يا سيدي يا مولاي إفعل بي كذا وكذا)، وأَخْذِ ترابها وجَعْل الخرق عليها تبركاً، وإيقاد السرج عليها وتقبيلها

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٣) و(٣٤٥٤) و(٤٤٤٣) و(٤٤٤٤) و(٥٨١٥) و(٥٨١٦)، ومسلم (٥٣١) (٢٢).

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٤٠٥ و٤٣٥ و٤٥٤.

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٢٢٩، وأبو داود (٣٢٣٦)، وابن ماجه (١٥٧٥)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي ٤/ ٩٤-٩٥. ورواية ابن ماجه دون قوله: «والمتخذين عليها المساجد والسرج» وقد حسنه الترمذي مع أن فيه أبا صالح باذام وهو ضعيف.

[والتمسح بها]، وتحليتها وشد الرحال إليها. ومثل ذلك إلقاء الخرق على الشجر ودعاؤها والذبح والنذر لها، اقتداء بمن عبد اللات والعزى، والويل كل الويل عندهم لمن عاب أو أنكر عليهم.

ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه، وبين الذين عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له بحيث لا يجتمعان أبداً، ودعاء القبور عند المهمات شرك بالله عز وجل قد ذكرنا أدلته فيما تقدم.

وقد كان سبب نزول قول الله عز وجل: ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾ مجيء حبر من اليهود إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، وقوله: نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله أنداداً فتقولون: ما شاء الله وشاء فلان، فقال ﷺ: «**أما إنّه قد قال حقاً**» فأنزل الله: ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾. وممن أخرج الحديث جلال الدين السيوطي في (الدر المنثور) في تفسير الآية[1]. وعن قتيلة، امرأة من جهينة قالت: أتى يهوديٌّ إلى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون وتشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: ورب الكعبة، وما شاء الله ثم شئت؛ رواه النسائي[2]، وقد أقر النبي ﷺ قول يهودي أن هذا شرك، فكيف حال

(١) وعزاه إلى ابن سعد من حديث قتيلة بنت صيفي.

(٢) في سننه ٧/ ٦.

من نادى عند المهمات غير الله، إذ هو داخل تحت قوله: ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله**﴾، وهؤلاء يحب أحدهم معتقده أكثر من حب الله، وإن زعم أنه لا يحبه كحب الله فشواهد الحال تشهد عليه بذلك، فإنه يعظم القبر أعظم من بيت الله ويحلف بالله كاذباً في أي محل، ولا يحلف عند القبر كاذباً، فلا جامع بين ما استدلوا به وبين ما نُهوا عنه.

الثاني: أن الحديث دليل لما قدمنا من أنه لا يُدعى غير الله عز وجل. فإن مسألة «اللّهم إني أسألك وأتوجه إليك»: المسؤول الله عز وجل، وإنما توجه بشفاعة نبيه في حياته، ونهايته سؤال الله عز وجل أن يشفّعه فيه، فمستهله سؤال الله عز وجل، ونهايته سؤاله سبحانه، ومعناه: أتوجه إليك بدعاء نبيك وشفاعته بدعائه، ولهذا قال في تمام الحديث: اللّهم شفِّعه فيَّ، وهذا متفق على جوازه، وقد مضت السنة أن الحي يُطلب منه الدعاء، كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه، سواء كان بلفظ الاستغاثة أم بغيرها، ومنه ما قص الله عن الاسرائيلي المستغيث بموسى على القبطي في قوله: ﴿**فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى**﴾، وكاستشفاع أهل الموقف بالأنبياء، يسألونهم أن يشفعوا إلى الله [ليقضي الله في أمرهم].

أما المخلوق الغائب أو الميت فلا يُستغاث به ولا يطلب منه وإنما غاية طالب الشفاعة عند الله عز وجل أن يُشفّع نبيَّه فيه، وهو

ﷺ قد انتقل من هذه الدار إلى دار القرار، بنص الكتاب والسنة واجماع الأمة، ولهذا استسقى أصحابه بعمه العباس بن عبدالمطلب وسألوه أن يدعو لهم في الاستسقاء عام القحط، أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، ولم يأتوا إلى قبره ولا وقفوا عنده، مع أنه ﷺ حيٌّ في قبره حياة برزخية أعلى من حياة الشهداء.

وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان على أن النبي ﷺ لا يُسأل بعد موته لا استغفاراً ولا دعاءً ولا غيرهما، فإن الدعاء عبادة مبناها على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع ولو كان هذا من العبادة لسنّة رسول الله ﷺ، ولكان أصحابه أعلم بذلك وأتبع له.

وقوله تعالىٰ: ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً**﴾ نزل في حياته، فإتيانهم له ﷺ للاستغفار مخصوص بوجوده في الدنيا، لهذا لم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين [بعد موته] مع شدة احتياجهم وكثرة مدلهماتهم، وهم أعلم بمعاني كتاب الله وسنة رسوله، وأحرص اتباعاً لملته من غيرهم، بل كانوا ينهون عنه، وعن الوقوف عند القبر للدعاء عنده، منهم الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وهم من خير القرون التي نص ﷺ على فضلها في قوله: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران: لا أدري أذكر اثنتين أو

ثلاثاً بعد قرنه رواه البخاري في صحيحه[1].

الثالث: أنهم زعموا أنه دليل للوسيلة إلى الله تعالىٰ بغير محمد ﷺ، فلا دليل فيه أصلاً، لأنهم صرحوا بأنه لا يقاس مع فارق، فلا يجوز لنا أن نقول: اللّٰهم إنا نسألك ونتوجه إليك برسولك نوح، يا رسول الله يا نوح إلى آخره، ولا أن نقول: اللّٰهم إنا نسألك ونتوجه إليك بخليلك إبراهيم إلى آخره، ولا أن نقول: بكليمك موسى، ولا بروحك عيسى، ونحن نقول: إن الجامع في نوح عليه الصلاة والسلام الرسالة، وفي إبراهيم عليه الصلاة والسلام الخلة مع الرسالة وفي موسى عليه الصلاة والسلام الكلام مع الرسالة، وفي عيسى عليه الصلاة والسلام كونه روح الله وكلمته مع الرسالة، فليس لنا هذا لأنه: أولاً: لم يرد ولا حاجة لنا إلى فعل شيء لم يرد، وثانياً: إنما أبيح القياس عند من يقول به للحاجة في حكم لم يوجد فيه نص، فإذا وجد النص فلا يحل القياس عند من يقول به، ولا حاجة لنا إلى قول مخترع، خصوصاً مع ما ورد في الشرك وأنه في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل.

الرابع: أن الوسيلة ليست هي أن ينادي العبد غير الله ويطلب حاجته التي لا يقدر على وجودها إلا الله ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًّاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ﴿**وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا**

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١) و(٣٦٥٠) و(٦٤٢٨) و(٦٦٩٥)، ومسلم (٢٥٣٥).

يستنقذوه منه﴾ بل هذا شرك بالله.

شبهة وجوابها:

وجعلوا دليلهم مع ما تقدم بعد ارتكابهم أكبر المناكر رواية: **«يا عباد الله أعينوني»**[1] ورواية: **«يا عباد الله احبسوا»**[2]، وهذا من جملة الجهل والضلال وإخراج المعاني عن مقاصدها من وجوه:

أولها: أن هذه ليست بوسيلة أصلاً إذ معنى الوسيلة ما يتقرب به من الأعمال إلى الله عز وجل، وهذا ليس بقربة لأنه ورد في أذكار السفر أن العبد إذا أراد عوناً، بمعنى أنه عجز عن حمل متاعه أو انفلتت دابته فقد جعل الله لعونه عباداً أحياء من الجن أو من الملائكة أو ممن لا يعلمه سواه: **﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾**، واستعماله في كل المهمات من أعظم الجور.

وإن أراد ـ فيما ورد الحديث به خاصة ـ امتثال قول رسول الله ﷺ، فقد يكون بهذه الإرادة قربة، ولا دلالة فيه أن ينادي عبدالقادر الجيلاني [أو أحمد البدوي أو غيرهما] من قطر شاسع بل ولا من عند قبرهما ولا ينادي غيرهما لا الأنبياء ولا الأولياء، إنما غايته أن العبد يقول كما قال رسول الله ﷺ: **«يا عباد الله»** ولو نادى شخصاً باسمه

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٧/ (٢٩٠).

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٠٨).

معيناً فقد [خالف أمر] رسول الله ﷺ ونادى من لم يؤمر بندائه، وليس ذلك في كل حركة وسكون وقيام وقعود، وإنما أبيح له ذلك إن أراد عوناً على حمل متاعه على الدابة أو إذا انفلتت منه.

وثانيها: أن الحديثين غير صحيحين. أما الأول فرواه الطبراني في الكبير بسند منقطع عن عتبة رضي الله عنه، وحديث انفلات الدابة عزاه النووي لابن السني وفي إسناده معروف بن حسان قال ابن عدي: منكر الحديث، ولا دليل في الحديثين مع ضعفهما ولا في الحديث المتقدم قبلهما على شيء مما يفعله عبّاد القبور من دعائها ورجائها، والتوكل عليها، والذبح والنذر لها، والهتف بذكر من فيها عند الشدائد.

وثالثها: أن الله قال: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي**﴾ فبعد أن أكمله بفضله ورحمته لا يحل لنا أن نخترع فيه ما ليس منه، ونقيس ما لا يقاس عليه.

ورابعها: أن الحديث الصحيح ما رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة فكيف يعمل بالحديث المتكلم فيه فيما لا يدل عليه دلالة مطابقة ولا تضمن ولا التزام، فهذا هو البهتان.

الخامس: أنهم عمروا مواقفهم بذكر من يعتقدونه، ونسبوا الأفعال إليهم، وكل أحد يذكر ما وقع له من الاستغاثة بفلان ومن أنجده وكشف شدته فإذا قال أحد: ﴿**سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء**﴾،

﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ قامت عليه الجماعة، وقالوا معلوم: **﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**، فإذا قال: نعم، وليس بيد أحد منهم ملكوت خردلة، والله يقول: **﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾**، والقطمير: القشرة اللطيفة تكون على النواة، **﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾**، فإذا كان فيهم من يدّعي العلم والإنصاف وهو واسع الصدر يقول: هذه الآية نزلت في عبَّاد الأصنام، فإذا قيل له: نعم الأصنام، ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين، وهذه الخرق على التوابيت هي فعل عبّاد الأصنام وقد قرر أهل العلم أن العام لا يقصر على السبب، فإذا قيل أدوا الأمانة فإنه تعالىٰ يقول: **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات﴾** فلا نقول: هذه نزلت في مفتاح باب الكعبة فلا نحتج بها؛ كذلك لا نقول: هذه نزلت في عبّاد الأصنام، ونفعل فعلهم ونقول: لسنا بمشركين، وفي الأحاديث القدسية عن سيد البرية: «**قال الله عز وجل: إني والجن والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويُعبد غيري وأرزق ويُشكر سواي**»، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء رضي الله عنه[1]، فيجيب: بأن الأمة مطبقة على هذا والأمة لا تجتمع على ضلالة، ويلزم من ردّ هذا تضليل الأمة وتسفيه الآثار،

---

(١) برقم (٤٥٦٣).

فيجاب عليه: أمّا أن الأمة مطبقة على هذا فكذب على الأمة، وليست بمطبقة علىٰ هذا، وهذه كتب التوحيد في كلّ مذهب وكتب الحديث والتفسير ليس فيها أنّه يُدعىٰ غير الله عز وجل ولا يُسن ولا يُستحبُّ ولا ينبغي ولا يجوز ولا يباح، بل الآيات البينات والأحاديث وأقوال العلماء ترشد إلى أن هذا شرك محقّق، والله تعالىٰ يقول لرسوله: **﴿قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا﴾** ويقول: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلاّ إياه﴾**.

السادس: قد اختلف في التوسل إلى الله بشيء من مخلوقاته، فقال أبو محمد بن عبدالسلام في فتاويه أنه لا يجوز التوسل إليه بشيء من مخلوقاته لا الأنبياء ولا غيرهم، وتوقف في حق نبينا ﷺ لاعتقاده أنه ورد في ذلك حديث، ولكن لم يعرف صحة هذا الحديث، وتقدم قول أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالىٰ.

السابع: أنهم يشترون أولادهم ممن يعتقدونه، ويجعلون له النذور، وإذا جاء المولود جعلوا لمن ينتسب إلىٰ ذلك المعتقد طعاماً، وقد أوحى إليهم الشيطان أن يجعلوا زوايا لمن يعتقدونه، وفيها جماعة ينسبون أنفسهم إلى ذلك كالعلوانية، والقادرية والرفاعية، وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، بل قال تعالىٰ: **﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾**، في الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل، **﴿وفي هذا﴾** القرآن، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وإذا مرض هذا المشْتَرَى من

المعتقـد، نذر أهله النـذور، ولم يزل يستغـاث به ليشفي سقمـه، ويكشف شدته، ولم يلتزموا في فعلهم هذا أن يكون المشتَرَى منه الولد ميتاً في تلك البلدة، بل يَشتري أهل مكة أولادهم من عبدالقادر الجيلاني المـدفـون في العراق، ومن الجبرتي المدفون في زبيد؛ ويجهلون قوله تعالىٰ: ﴿**هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلّا هو العزيز الحكيم**﴾، فإن الشراء [لا يكون إلا] ممن يملك الشيء.

وهـذا الأمـر سار في العلمـاء والجهال، فهم قد غلبت عليهم العوائد وسلبت عقولهم من تفهُّم المراد والمقاصد، ولم يجدوا هذا في كتاب أحد من الأئمة، صانهم الله عن هذه الوصمة، فما استدلوا به مما تقدم لا يكون دليلاً على التوسل بالأموات المعلوم حالهم أنهم في أعلى الجنان فكيف غيرهم ممن لا يعلم حاله ولا يدري أين مآله، أم كيف يكون دليلاً على دعاء غير الله تعالىٰ في المهمات ثم يقال: المـراد الـوسيلة ويستـدل لهـا بهذا؟ ﴿**سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾ وتحريف للكلم عن مواضعه.

فبهـذا تبين أن الشيطان اللعين [زيّن للجـاهلين] نصب قبـور يعظمونها ويعبدونها أوثاناً من دون الله، ثم أوحى إلى أوليائه أن من نهى عن عبادتها واتخاذها أعياداً وجعلها ـ والحالة هذه ـ أوثاناً، فقد انتقصهـا، وغمصهـا حقهـا، وسبّهـا؛ فيسعى الجاهلون في قتالهم

وعقوباتهم، وما ذنبهم إلا أنهم أمروهم بإخلاص التوحيد ونهوهم عن الشرك بأنواعه، وقالوا بتعطيله؛ فعند ذلك غضب الجاهلون واشمأزت قلوبهم وقالوا: قد انتقصوا أهل المقامات والرتب فاستحقوا الويل والعتب.

ويسري ذلك في نفوس الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين وحب الأولياء واتباع المرسلين.

بسبب ذلك عادونا، وبالعظائم والكبائر والجرائم الغزار رمونا، ونسبوا كل قبيح إلينا ونفروا الناس عنا وعمّا ندعوا إليه، ووالوا أهل الشرك وظاهروهم علينا، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله وكتابه، ويأبى الله ذلك **﴿وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون﴾** الموافقون له العارفون به وبما جاء به والعاملون به، والداعون إليه، لا المتشبعون بما لم يعطوا اللابسون ثياب الزور، الذين يصدون الناس عن دينه وهديه وسنته، **﴿ويبغونها عوجاً﴾**، **﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾** وأنهم يتقربون إلى الله ويعظمون الأنبياء والأولياء، وهم أعصى الناس لهم وأبعدهم منهم ومن هديهم ومتابعتهم، كالنصارى مع المسيح، واليهود مع موسى والرافضة مع علي.

وأهل التوحيد أينما كانوا أولى [بالأنبياء والأولياء ومحبتهم] ونصرة فريقهم، واتباع سنتهم وهديهم ومنهاجهم، وأولى بالحق قولاً وعملاً

من أهـل البـاطـل، فالمؤمنـون والمؤمنـات بعضهم أولياء بعض، والمنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات بعضهم من بعض.

ومن أصغى إلى كلام الله بكلية قلبه وتدبَّره وتفهَّمه أغناه عن اتباع الشيطان وشركه، الذي يَصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وينبت النفاق في القلب، وكـذلـك من أصغىٰ إلى كلام الله تعالىٰ وإلى حديث الرسول ﷺ بكليته وحدث نفسه بهما، وعمل باقتباس الهدي والعلم منهما لا من غيرهما أغناه ذلك عن البدع والشرك والآراء والتخرصات والشـطحـات والخيالات، التي هي من وساوس الشياطين والنفوس وتخيلات الأهواء، ومن بعد عنهما فلا بد أن يتعوض بما لا ينفعه، بل يضرّه.

كمـا أن من عمر قلبه بمحبة الله وذكره وخشيته والتوكل عليه، أغناه عن عشق الصور وإذا خلا قلبه من ذلك عبَد هواه، وأي شيء استحسنه ملكه واستعبده، فالمعرض عن التوحيد عابد للشيطان مشرك شاء أم أبى، والمعرض عن محبة الله وذكره عابد للصبور شاء أم أبى، والمعرض عن السنة مبتدع شاء أم أبى.

وفي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي، واسمه حيّان بن حصين قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته ولا

قبراً مشرفاً إلا سـويته»[1] وفي صحيحه أيضـاً عن ثمامة بن شفـي الهمداني قال: كنـا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم، فتوفّي صاحب لنا فأمر فضالـة بقبره فسوّي، فقال: سمعت رسـول الله ﷺ يأمر بتسـويتها[2]، وقد أمر به وفعله الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون، قال الشافعي في الأم: رأيت الأئمـة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى على القبور. ويؤيد الهـدم قوله: «**ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**»، وحديث جابر الذي في صحيح مسلم: «**نهى ﷺ عن البناء على القبور**»[3].

ولأنها أسست على معصية الرسول، لنهيه عن البناء عليها وأمره بتسويتها، فبناء أسس على معصيته ومخالفته ﷺ بناء غير محترم، وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعاً، وأولى من هدم مسجد الضرار المأمور بهدمه شرعاً، إذ المفسدة أعظم، وحماية للتوحيد[4]، [وسدّاً لذريعـة الشرك]. والله المستعان، وعليه التكلان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[5].

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩).
(٢) أخرجه مسلم (٩٦٨).
(٣) أخرجه مسلم (٩٧٠) (٩٤).
(٤) إغاثة اللّهفان لابن القيم رحمه الله، من عدة مواضع.
(٥) الدّرر السّنيةَ، ج٢ ص ٧٩، ٩٤ جمع وترتيب محمد حامد الفقي رحمه الله.

الفهرس